الملخص

أُطروحة البحث الأساس، هي أن قصيدة المديح الموجهة الى السلطة الأموية تبنت إذاعة الفكر الذي تنتجه المؤسّسة الدينيّة الأموية، وشرعنته ذهنياً لقبوله في المجتمع، إذ كان خلفاء بني أُمية يوجهون شعراءهم بصورة مباشرة أو غير مباشرة إلى النظم وفقاً لمقاييس محددة، كان أهمها دعوتهم للتركيز على فكرة وجوب الطاعة التامة لبني أُمية؛ لأنهم مفوضون من الله ويحكمون بأمره، لاسيما أن دولة بني أُمية قد تأسست على وفق دعائم تخطت الموروثات الإسلامية واستندت فى قيامها إلى الوراثة والقوة والاستبداد والاستئثار السياسي والاقتصادي للسلطة الحاكمة وحلفائها الطبقيين والقبليين من دون باقي عامة المسلمين، مما جعل كثيراً من المسلمين يعدون طاعة الأمويين خروجا عن أُصول الطاعة الدينية، ولم يتأخر هؤلاء الشعراء (وأولهم جرير) عن الاستجابة لمثل هذه الرغبة، لخوفهم من جبروت السلطة الظالمة، ولأنهم أيضا كانوا يحصلون منها بالمقابل على الهبات، التي تقاس أثمانها بمدى استيفاء القصيدة لشروط إثبات أحقية الحاكم الأموي في السلطة السياسية، وارتباط شخصية الممدوح بكل ماهو ديني ومقدس.

Abstract

The main thesis of the research is that the poem of praise addressed to the Umayyad authority adopted the radio of thought produced by the Umayyad religious establishment and legitimized it mentally to accept it in society. The successors of illiterate sons direct their poets directly or indirectly to the systems according to specific criteria. The most important of these was their call to focus on the idea The fact that they are authorized by God and governed by his command, especially since a nation of illiterate people was founded on pillars that transcended Islamic legacies and based their existence on the heredity, power, tyranny, political and economic domination of the ruling authority and its class and tribal allies, The rest of the Muslims, which made many Muslims promise obedience to the Umayyads out of the principles of religious obedience, did not delay these poets to respond to such a desire, for fear of the unjust power of power, and because they also received from them in return for donations, Proof of the right of the Umayyad ruler in political power, and the association of the praised person with everything religious and sacred.

المقدمة

يقوم مفهوم الطاعة السياسي على أساس الاعتراف بشرعية السلطة السياسية أو ضرورتها، فهو وصف لكل سلوك يترتب عليه تمكين السلطة من القيام بمهمة قيادة المجتمع ومساعدتها في أداء وظائفها ومهامها، وتتدرج تحت ذلك كثير من العمليات كأداء الحقوق، والنصرة، والمناصحة، والتفاعل، والاستجابة، كما تتدرج تحت مفهوم الطاعة السياسية كثير من العمليات الأُخرى التي يكون هدفها ترشيد السلطة، أو رفع كفاءة أدائها(١) .

وبذلك فإن مفهوم الطاعة السياسية في الإسلام يُعبر عن حالة التوازن والتفاعل والانسجام المستمر بين السلطة والرعية، فالطاعة السياسية هي ليست عملية تسير في اتجاه واحد، بل هي عملية تتضمن إجراءات عدة من جهة الأُمة تقابلها التزامات من جهة السلطة، كالعدل، والحكم بالشريعة، والشورى، والتزام البيعة، وحسن الأداء والمعاملة ... وغيرها.

ولم يظهر تعارض حقيقي بين الدين كأساس جوهري لقيام الدولة، وبين طابعها العام فى العهد الراشدي، وإنما ظهر ذلك بجلاء فى عهد بني أُمية، ففي الوقت الذي حرص فيه المسلمون على الاحتفاظ بجوهر مفهوم الطاعة السياسيّة وممارسته وفقا لتحديداته القرآنيّة في عهد الخلافة الراشدة، ظهر مع بداية العصر الأموي نمطٌ جديد من الحكم السياسيّ، استدعى تطوير بدائل فقهيّة واقعيّة كان غرضها إحكام الربط بين الشّريعة والسياسة، كي لا تتّجه الممارسة السياسيّة بعيداً عن الشّريعة، ومع استقرار أنظمة الجور السياسي الأموي في الحكم فرضت تقاليد سياسيّة لا علاقة لها بأُسس التصوّر الإسلامي لمسألة الطاعة السياسيّة، حيث ابتعدت الممارسة السياسية الإسلاميّة عن الشورى في

الحكم، وعن مفهوم البيعة الصحيحة القائمة على الرضا والاختيار.... وغيرها من التزامات السلطة السياسية التي حددها الإسلام .

كما ظهرت تطوّراتٌ جوهريّةٌ في منظومة الحكم السياسي دفعت بالمفهوم إلى إنتاج "صيغٍ تاريخيّةٍ" لربط المفهوم بحركة الواقع الجديد، وأهمّ تلك الصِيَغ التي شاركت في إنتاجها دوائر السلطة المختلفة خارج إطار المحتوى القرآنيّ والدلالات الأصليّة للمفهوم، هي طاعة المتغلّب، وطاعة الفاسق، وطاعة الجائر، فالطاعة على وفق منظور دوائر السلطة قيمة ثابتة لا علاقة لها بعدل السّلطة أو جورها، وهذا الاختلال في منظومة القيم الإسلاميّة في العصر الأموي دفع بشكلٍ مطّرد باتّجاه تفريغ مفهوم الطّاعة السياسيّة من مضامينه القرآنيّة، وتكريس مفهوم ((طاعة الضرورة)) الذي راح يكتسب مع الوقت شرعيّة فقهيّة واجتماعيّة.

وهكذا كرست مؤسسات السلطة الأموية الخلط والتداخل بين الطاعة الدينيّة (وهي طاعة مطلقة وثابتة ترتبط بعقيدة المؤمن)، والطاعة السياسيّة (وهي طاعة نسبية ومقيدة خاضعة لشروط الواقع السياسي)، وعدم تحديد مجال الطاعة السياسية والتمييز بينه وبين مجال العقيدة، لإضفاء الشرعية السياسية على كيانها، ومنحها صلاحية التدخل في شؤون العقيدة والعبادة، وإهمال وظائفها التنموية والسياسية والحضارية.

الطاعة السياسية عند شعراء السلطة

غالبا ما تحكم العلاقة بين الشاعر والسلطة رؤية كل منهما للآخر والمصالح المشتركة بينهما، وحرص كل منهما على تحقيق أقصى استفادة ممكنة، في ظل علاقة الحاكم وحاشيته بالشعب من جانب، وعلاقة الشاعر

بمجتمعه من جانب آخر، وغالباً ما تتحدد هوية الدولة على إثر العلاقة بين القوة ممثلة في السلطةً وأصحاب الفكر، ومنهم الشعراء، مع التأكيد هنا أن "العلاقة التي تقوم بين ممثلي السلطة السياسية وممثلي السلطة الثقافية هي علاقة في غاية التعقيد، يتدخل في صياغتها عدد كبير جدًّا من العوامل الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية ، والثقافية، والنفسية، وهذا ما يجعل منها علاقة لا يمكن تحديدها بشكل نهائي، وانما يمكن الحديث عنها في جانب من جوانبها فقط" (٢).

لقد قامت العلاقة بين الحاكم والشاعر في العصر الأموي، على سوء الظن، وانعدام عنصر الثقة المتبادلة، وتسلّط الحكام على الشاعر للحد من حريته الفردية، فكانت علاقة الشاعر بأصحاب السلطة والنفوذ متوترة في معظم الأحيان، تراوحت بين البطش والقهر ومصادرة الحريات، وبين بذل الأموال لهم وإجابة مطالبهم، إذ كانت السلطة الأموية تريد من الشعراء أن يكونوا مجرد أدوات تعمل في خدمتهم، وتنافح عنها ضد أعدائها، وبذلك جردت أغلب الشعراء وغيرهم من المفكرين من دورهم الحقيقي الذي يتبلور في" مراقبة مهمة السلطة السياسية ، وهم الذين يقررون فيما إذا كانت هذه السلطة موفقة في مهمتها، أم أنها على العكس فاشلة تجرد المجتمع من نقاط قوته الذاتية بدلاً من أن تدافع عنه ضد نقاط ضعفه الداخلية " (٣) .

من هنا عرف شعراء السلطة حقيقة أن السلطة تريد منهم تحقيق أهداف ومصالح معينة باللين حينا والقوة أحيانا أُخرى، وكان على الشاعر الذي يريد تحقيق أهدافه في ظل تصالح ظاهر مع السلطة، أن يتواءم مع توجهات الدولة وينخرط فيها كعنصر فاعل يؤدي دوره في دفع هذه التوجهات.

دوافع الطاعة السياسية عند جرير

لقد عرف عن جرير أن أهواءه السياسية كانت مع الزبيريين لكنه "اضطر لنيل عطف بني أُمية، حين تلاشت ريح أصحابه، وخضدت شوكتهم، فاندفع إلى أعتاب الأمويين عن خوف وحاجة، واسترضى ولاتهم تقية وطمعا لا حبا وإعجابا، وأيدهم في سلطانهم وأشاد بحكمهم متغاضيا عن جورهم وقسوتهم" [٤]، ومدح معظم خلفاء بني أُمية وولاتهم، وكان من أكبر الداعين إلى فكرة وجوب الطاعة السياسية المطلقة لبني أُمية، فبدأ بالحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق ثم مدح عبد الملك بن مروان وأولاده من بعده: الوليد وسليمان ويزيد وهشام، كما مدح عبد العزيز بن مروان وابنه عمر(واليا وخليفة)، ومدح أيضا معاوية بن هشام، وخالد بن عبد الله القسري والي العراق ... وغيرهم .

١-دافع الخوف من السلطة

عاش جرير في عصر قائم على سياسة التخويف والترهيب من أغلب أفراد السلطة؛ من حيث الصراع حول الخلافة، وأُسلوب الموت والقمع هو أسلوب أغلب السياسيين في التعامل مع الآخر، ولعل من أقرب الأمثلة على ذلك، مذبحة كربلاء، ووقعة الحرة واستباحة المدينة المنورة، ومقتل ابن الزبير، وجبروت ولاة العراق، ولم تكن الشخصية الفردية لجرير قوية " ولم يكن من شأنها أن تكون قوية لا من الناحية الاجتماعية في المكانة من قومه ولا من الناحية الفردية في مكانته من نفسه "[٥] ، لذا سعى الى أن يجنب نفسه مواطن الزلل والسوء أمام رجال السلطة، فبرغم من أنه كان يجيد الهجاء (ولم ينج من لسانه أحد من العامة)، إلا إنه لم يكن يجرؤ على هجاء أيّ رجل من رجال الدولة الأموية –في ظل أي ظرف– لخوفه الشديد منهم، وضعف شخصيته أمامهم،

وعدم قدرته على مواجهتهم، إذ كانت نفسيته تميل إلى الخشية والجبن، وكان يؤثر السلامة والسلم، ويحتج بطبعه إلى الدعة والسكينة في الحياة، وكان غالبا ما يختفي حين تضطرب الأحداث في الدولة، ولا يسمع له صوت إلا بعد أن تستقر الأوضاع، حين يأتي مهنئا رجال الدولة بالنصر على أعدائهم.

وتكشف لنا أحدى الروايات عن حالة الذعر والخوف من هيبة السلطان، التي لازمت جرير طوال حياته، إذ يروى أن هند بنت أسماء بن خارجة الفزارية أخت مالك بن أسماء اشتكت عليه عند الحجاج،" فقالت للحجاج: ائذن لي فأسْمَعَ من قوله قال: نعم فأمر بمَجْلِسٍ له وجلس فيه هو وهند ثم بعث إلى جرير فدخل وهو لا يعلم بمكان الحجاج فقالت: يا ابن الْخَطَفَى أنْشِدْنِي قولَك في التشبيب قال: والله ما شَبَّبْتُ بامرأة قطُّ وما خلَق الله شيئاً أبْغَضَ إليّ من النساء ولكني أقول في المديح ما بلغكِ فإن شئت أسمعتُكِ قالت : يا عدوَّ نفسه فأين قولك :

يَجْرِي السواكُ على أغَرَّ كأنَّهُ بَرَدٌ تحدَّرَ من مُتُونِ غَمامِ
طَرَقَتْكَ صائدةُ القلوبِ ولَيْسَ ذا وَقْتَ الزيارة فَارْجِعِي بسلام
لو كُنْتِ صَادِقَةَ الذِي حَدَّثْتِنَا لَوَصَلْتِ ذاك فكان غيرَ رِمَامِ

قال جرير : لا والله ما قلت هذا ولكني أقول:

لقد جَرَّدَ الحجاجُ بالحقِ سيفَه ألا فاسْتَقِيْموا لا يَمِيلَنَّ مَائِلُ
ولا يَسْتَوِي دَاعِي الضلالةِ والْهُدَى ولاَحُجَّة الخصمين حَقٌّ وبَاطِلُ

فقالت هند : دَعْ ذا عنك فأين قولك:

خليليّ لاَ تَسْتَشْعِرَا النومَ إنني أُعيذُكُما بالله أن تَجِدَا وَجْدِي
ظَمِئْتُ إلى بَرْدِ الشَّرَابِ وغَرَّني جَدَامُزْنَةٍ يُرْجَى جَدَاها وَمَا تُجْدِي

قال جرير : بل أنا الذي أقول:

ومَنْ يأمَن الحجَّاجَ أما عِقَابُهُ فَمُرّ وأما عَقْدُه فَوَثِيقُ
لَخِفْتُكَ حَتَّى أنْزَلَتْنِي مَخَافَتِي وَقَدْ كانَ مِنْ دُونِي عَمَايَة نِيق
يُسِرُّ لك البَغْضَاء كلُّ مُنَافِقٍ كما كلُّ ذِي دِينٍ عليك شَفِيقُ..." (٦)

وهذه الرواية لها دلالة خاصة، فهي تكشف الجو المتوتر والمشحون الذي كان يعيشه الشاعر نتيجة لحالة الخوف المذلّ والمهين التي وصل إليها عند مواجهة السلطة الأموية متمثلة بالحجاج، ومحاولته تجنب كل ما يغضب هذه السلطة حتى وإن كان مجرد تشبيب كان مباحا لأغلب شعراء عصره، فالشاعر يخاف أشد الخوف من أي وشاية قد تحاك ضده فتفسد علاقته بالنظام السياسي، لاسيما هو من المقربين من السلطة، وأحد أعمدتها الثقافية، فهو يريد أن يحافظ على مكاسبه المادية والأدبية من خلال علاقة إيجابية لا تشوبها شائبة .

كما تتجلى شخصية الشاعر المتناقضة وضعفه أمام السلطان في مدائحه التي كانت تتحول على اختلاف الظروف والأوضاع، والتي أكد فيها هذا الخوف والجبن، لما كان يحسه من غربة، وهي ليست غربة زمانية ولا غربة مكانية؛ إنما هي غربة نفسية مفعمة بالمخاوف أملتها عقد كثيرة كان أبرزها عقدة التوجس والقلق والشعور بالخوف من السلطان، فشخصية جرير حين يمدح ويسرف في المديح، ولا يتحرج من التملق هي شخصية ضعيفة متقلبة متلونة، إذ كان من أيسر الأشياء على جرير أن يمدح الزبير أيام غلبة ابن الزبير، وقد ظل في نقائضه مع الفرزدق يذكر بقتل قومه للزبير بن العوام، ويحط من قدرهم لأنهم لم يهبوا لنجدة الزبير، ويصفهم بالغدر والقعود عن نجدة المستجير(٧):

قتلَ الزبيرُ وأنتمُ جيرانُ غياً لمن غرَّ الزبيرَ طويلا
لو كنتَ حينَ غررتَ بينَ بيوتنا لَسَمِعتَ من صَوتِ الحَديدِ صَليلا
لحماكَ كلُّ مغاورٍ يومَ الوغى وَلَكَانَ شِلْوُ عَدُوّكَ المأكُولا

ويقول في قصيدة أُخرى واصفا فداحة المصاب بمقتل الزبير، وأثر خبر مقتله على المدينة وأهلها، وكيف أنها تواضعت هي وجبالها، وخشعت حزنا عليه(٨):

لّما أتَى خَبَرُ الزّبَير تَوَاضَعَتْ سورُ المدينةِ والجبالُ الخشعُ
وَبَكَى الزّبَيرَ بَنَاتُهُ في مَأتَمٍ ماذا يردُّ بكاءُ منْ لا يسمعُ
قالَ النّوَائحُ منْ قُرَيْشٍ: إنّمَا غذرَ الحتاةُ ولينٌ والأقرعُ
تَرَكَ الزّبيرُ، على مِنىً لمُجَاشعٍ سُوءَ الثنَاء إذا تَقَضىّ المَجْمَعُ

فإذا كان انتصار الأمويين على ابن الزبير، جعل شعره لهم يمدحهم، ويعظم أمر ولاتهم، ويصف ابن الزبير بالملحد، والخارج عن الدين(٩):

دَعَوْتَ المُلْحِدينَ أبَا خُبَيْبٍ جماحاً هلْ شفيتَ منَ الجماحِ
فقَدْ وَجَدُوا الخَليفَةَ هِبْرِزِيّاً ألَفّ العِيصِ لَيس من النّواحي
فما شجراتُ عيصكَ في قريشٍ بِعَشّاتِ الفُرُوعِ وَلا ضَواحي
رأى الناسُ البصيرةَ فاستقاموا وبينتِ المراضِ منَ الصحاحِ

لقد أكثر جرير من مدح بني أُمية للتقرب إليهم لا إلى الله، فهو يعلم جيدا أنهم لم يلتزموا بنهج الإسلام في اختيار خليفة المسلمين، وجاءوا بمبدأ التوريث وهو مبدأ جاهلي أبطله الإسلام، ومع هذا نجده لم ير بأسا في أن يجعل شعره في تصرف بني أُمية حتى في شؤون القصر الداخلية الخاصة، ويتدخل في أمر تولي الخلافة، فسخر لسانه لخدمة الوليد بن عبد الملك، وتفضيل ابنه

عبد العزيز على أخيه سليمان، والدعوة إلى مبايعته من دون سليمان، مدعيا أنه أخيار الرعية، وعلى الخليفة الاستماع إلى صوت رعيته والالتزام بتنفيذ رغبات الأُمة لتحقيق العدل الإلهي(١٠):

إلى عبد العزيز سمتْ عيونُ الـ ـرّعِيّة إنْ تُخُيّرَتِ الرِّعاءُ

إليه دعت دواعيـهِ إذا ما عمادُ الملكِ خرتْ والسماءُ

وَقالَ أُولو الحكومَة من قُرَيشٍ عَلَيْنَا البَيْـعُ إذْ بَلَغَ الغَلاءُ

رأوا عبد العزيز وليَّ عهدٍ ومَاَ ظَلَمُوا بذاكَ وَلا أساءُوا

فزَحْلِفْهاَ بأزْفَلِهاَ إلَيْهِ أمِيرَ المُؤمِنينَ إذا تَشَاءُ

فإنَّ الناسَ قدْ مدوا إليهِ أكفهمْ وقد برحَ الخفاءُ

ولو قدْ بايعوكَ وليَّ عهدٍ لَقامَ القِسْطُ وَاعتَـدَلَ البِنَاءُ

وتجدر الإشارة هنا الى أن جرير " قد تنبه منذ وقت مبكر الى واحد من أهم أهداف الخطاب السياسي، ألا وهو تعميم الخاص، فقد سعى إلى تقديم المصالح السياسية الخاصة بالأمويين على أنها مصالح عامة تخص كل أفراد الشعب، وبذلك تتحقق الرغبة الأموية في السيطرة الفعلية على المجتمع الإسلامي"(١١).

ولما آلت البيعة بعد ذلك إلى سليمان قام بين يديه مادحا ومهنئا بالخلافة تماما كما كان مقدرا أن يفعل مع عبد العزيز لو أنه قد تسلم السلطة (١٢)، يقول جرير (١٣):

سُلَيْمانُ المُبارَكُ قَد عَلِمْتُم هُوَ المَهْدِيّ قَدْ وَضَحَ السّبِيلُ

أجرتَ منَ المظالمُ كلَّ نفس وَأدّيْتَ الذي عَهِدَ الرّسُولُ

صفتْ لكَ بيـعة بثبات عهد فَوَزْنُ العَدلِ أصْبَحَ لا يَمِيلُ

أَلا هَلْ لِلخَلِيفَةِ في نِزَارٍ فَقَدْ أَمْسَوْا وَأَكثَرُهُمْ كُلُولُ
وَتَدْعُوكَ الأَرامِلُ وَاليَتامَى ومنْ أمسى وليسَ به حويل
وتشكو الماشياتُ إليكَ جهداً وَلا صَعْبٌ لَهُنّ وَلا ذَلُولُ

وهذه الأبيات وان جاءت في صورة المدح، ولا مكان فيها لمفردات الخوف، إلا أنها في إطارها وسياقها دالَّةٌ على الخوف، بل إن دلالتها على الخوف أوضح من أبيات كثيرة صريحة في هذا الباب، فالأبيات تشير إلى أن اتصال الشاعر بسليمان كان مضطربا لموقف سليمان المعادي للقيسية، التي طالما دافع عنها جرير، لذا حاول أن يرد الخليفة إلى النزارية دون اليمن، كما حاول أن يتبرأ من ذكر الحجاج، ويشير من طرف خفي إلى ظلمه وهو يشير إلى عدل سليمان الذي ردّ مظالم أهل العراق، وإطلاق سراح من سجنهم الحجاج.

وهكذا نرى أن جريرا كان يعلم تمامًا متى يمدح، ومتى يصمت؛ حرصًا على علاقته بالسلطة وخوفًا من غضبها عليه، فكان أيام سليمان يدنو من القصر بحذر شديد، محاولا إعادة ما فعله مع الوليد وابنه عبد العزيز مع أيوب بن سليمان(١٤):

هل يصبونَّ حليمٌ بعدَ كبرتهِ أمسى وأخدانهُ الأعمامُ والشيبُ
إن الإمامَ الذي ترجى نوافلهُ بَعدَ الإمامِ وَليُّ العَهدِ أيّوبُ
مستقبلُ الخيرِ لا كابٍ ولا جحدٌ بدرٌ يغمُّ نجومَ الليلِ مشبوبُ

هذا التغير والتبدل في المواقف يدل أبلغ دلالة على أن الشاعر كان يخشى السلطة ويخاف بطشها، هذه السلطة ممثلة في الخليفة المعتلي عرش الخلافة وولاته الذين يمثلون السيف الذي يسلطه الخليفة على من شاء من رعيته، حتى

ولو كان من صفوة الشعراء والمفكرين، لذا كرس جرير أغلب شعره في مدح الحجاج، لأنه خافه خوفا شديدا، فكان حريصا على إرضائه من خلال وصفه بالصفات المحببة إليه[١٥]:

خَليفَةُ عَدْلٍ ثَبّتَ اللّه مُلْكَهُ   علىَ راسياتٍ لمْ تزلها الزلازلُ
دعوا الجبنَ يا أهلَ العراقِ فإنما   يُبَاحُ وَيُشْرَى سَبيُ مَن لا يُقاتِلُ
لَقَدْ جَرّدَ الحَجّاجُ بالحَقّ سَيْفَـهُ   لكُمْ فاستَقيمُوا لا يميلَنّ مَائِلُ
فما يستوي داعي الضلالة والهدى   وَلا حُجّة الخَصْمَينِ حَقٌّ وَباطِلُ
وأصبحَ كالبـازي يقلبُ طرفـهُ   عَلى مَرْبإٍ وَالطّيرُ مِنْهُ دَوَاخِلُ
وَخافُوكَ حتى القَوْمُ تَنْزُو قُلُوبُهمْ   نزاءُ القطا التفتْ عليهِ الحبائلُ
وَمَا زِلْتَ حتى أسْهَلَتْ مِنْ مخافَةٍ   إليكَ اللواتي في الشعوفِ العواقل

...

قَدِمْتَ على أهْلِ العِرَاقِ وَمِنْهُمُ   مخالفُ دينِ المسلمينَ وخاذلُ
فكُنْتَ لَمن لا يُبْرِىء الدّينُ قَلْبَهُ   شِفَاءً وَخَفّ المُدْهِنُ المتَثاقِلُ
وأصبحتَ ترضى كلَّ حكمٍ حكمتهُ   نِزَارٌ وَتعطي ما سألْتَ المقَاوِلُ

فصفات القوة والقتل والبطش بالخصوم هي الأقرب إلى نفس الحجاج الذي يقول واصفا نفسه "سوطي سيفي فنجاده في عنقي وقائمه بيدي، وذبابه قلادة لمن اغتر بي"[١٦] ، وقال أيضا: "إني لأرى رؤوسا قد أينعت وحان قطافها وإني لصاحبها"[١٧] ، وبوحي من هذه السياسة كان جرير يجهد نفسه في تصويره في إهاب من المنعة والقوة، ويضفي عليه الصفات التي تزرع الخوف والرعب في قلوب الناس (والشاعر منهم) تجاه الحجاج، ويبدو أن الحجاج كان يحلو له أن يسمع ذلك من الشعراء، ويقصد إليه قصدا؛ حتى يظل له نفوذه، وتتوكد هيبته

في نفوس الجميع، " ولا ننسى أن معظم هذا الشعر الذي يطنب في تصوير خصائص العنف وصفات الشدة التي يتحلى بها الحجاج كان ينشد في حضرته أو حضرة الخليفة كمدح " (١٨)، يقول جرير(١٩):

ومنْ يأمنُ الحجاجَ أما عقابهُ فمرٌّ وأما عقدهُ فوثيقُ

وَما ذُقْتُ طَعْمَ النّومِ إلاّ مُفَزَّعاً وما ساغَ لي بينَ الحيازمِ ريقُ

وحملتُ أثقالي نجاة كأنها إذا ضَمَرَتْ بَعْدَ الكَلالِ فَنِيقُ

....

وخفتكَ حتى استنزلتني مخافتي وَقَدْ حالَ دُوني مِنْ عَمايةِ نِيقُ

ولايكتفي جرير بهذه الطاعة المطلقة والخضوع التام للحجاج، بل كان يدعو الناس إليها، وينصحهم بها، ليتجنبوا غضبه، يقول جرير(٢٠):

لَقد جَهَدَ الحَجّاجُ في الدّينِ وَاجتبى جبا لمْ تغلهُ في الحياض الغوائلُ

أطيعوا فلاَ الحجاجُ مبقٍ عليكمُ وَلا جِبرَئيلٌ ذو الجَناحَينِ غَافِلُ

ويجد المتتبع لمدائح جرير في الحجاج، أن الشاعر لا يمل من تكرار نغمة وجوب الطاعة للأمويين، لأنهم أهل الهدى الذين اصطفاهم الله لقيادة المسلمين، وعلى الخصوم الإيمان بقضاء الله النافذ، وإلا فإن سيوف بني أُمية لمن عصاهم بالمرصاد، وهكذا كان جرير يحرص على تسويغ قهر السلطلة وتمجيده، إذ يحشد العبارات التي تأمر بطاعة السلطان وتحذر من عصيانه، فطاعة السلطان فرضٌ على الرعية، وهي مقرونة بطاعة الله، وليس للرعية أن تعترض على الأئمة في تدبيرها، بل عليها الانقياد، لأن عصيانُ الأئمة يهدم أركان الملة، كما أنه كان يروج في شعره إلى الطاعة المطلقَة والمستكينَة، طاعةِ الذلة والخضوع،

التي من شأنها أن تغري السلطان بمزيد من الطغيان والاستبداد، يقول جرير في مدح الحجاج[٢١]:

عَفاريتُ النفاقِ شَفَيْتَ مِنهُمْ فَأمْسَوْا خاضِعِينَ لكَ الرّقَابَا
وقالوا لن يجامعنـا أميرٌ أقامَ الحدّ واتّبَعَ الكِتابَا
إذا أخذوا وكيدهمُ ضعيفٌ بِبابٍ يَمْكُرُونَ فَتَحتَ بَابَا
واشمطَ قدْ ترددَ في عماهُ جعلتَ لشيبِ لحيتهِ خضابا
إذا عَلِقَتْ حِبالُكَ حَبْلَ عاصٍ رأى العاص منَ الأجل اقترابا
بأنَّ السيفَ ليسَ لـهُ مردٌّ إذا أفرى عن الرئة الحجابا

فجرير كان يرى نفسه ظلا لشيء، وهذا الشيء هو السلطان، لذا لجأ إلى السلطة مفتشا من خلالها عن عزاء ينتشله من ضعفه، كما كان يرى في السلطة الأموية وحشا كاسرا من الصعب مواجهته، ومن ثم لا بد من الوقوف إلى جانبه ووجوب طاعته، فراح يغالي في مفهوم الطاعة السياسية فوق القدر الشرعي المأمور به، باحثاعن مسوغ لأوامر الظلم والاستبداد، حتى لو كان بنوعٍ من التطويع، ومتحدثا عن المستبد بعبارات الانبهار والتفخيم، وكل ذلك نتيجة(لانهياره النفسي) أمام نفوذ المستبد السياسي.

٢-دافع الحاجة المالية

نزع الشعر في العصر الأموي إلى خدمة الطبقة الحاكمة والأرستقراطية، وأصبح الشاعر مستخدما بالضرورة لدى فئات المجتمع المستهلكة للثقافة، كما توطدت خلال تلك المرحلة مؤسسة حماية الأدب التي تضمن للشاعر وجوده وتحدد له وظيفته وقواعد نشاطه، وأصبح المسار المهني للشاعر يلزمه بكل المساومات، خاصة حين راح الشاعر يجمع بين الأولوية التي كان يتمتع بها في

تمجيد القبيلة، والدفاع عن شرفها، والحفاظ على تاريخها، واهتمامه نحو مصلحته الشخصية، فأصبح الشاعر متضرعا يدفع فنه إلى مستوى ممارسة حرفة مربحة، إذ كانت السلطة تغذق على المداحين من مال ونعم، مما فرض على الشاعر التخلي عن قناعاته الشخصية أو أن يكيفها بكثير من المرونة لكي يحصل على التشجيع والحماية والفائدة من السلطة.

ويلاحظ المتتبع لقصائد شعراء السلطة الأموية أن أغلب هذه القصائد كانت موجهة إلى أصحاب النفوذ والجاه من خلفاء وأُمراء وولاة وقادة ... وغيرهم، وأن معظم شعر المديح اتخذ منه الشعراء وسيلة للكسب المادي، لاسيما إذا علمنا أن خلفاء بني أُمية سعوا الى شراء ذمم الشعراء بأموالهم ليضمنوا ولاءهم وطاعتهم المطلقة، ومن هنا ارتفع صوت المال في القصيدة الأموية واحتل جوانب غير قليلة منها.

وكان جرير "غالبا ما يعرض بضاعته الشعرية وطاعته لمن يدفع فقد عاش حياته مجاهدا عن قيس ضد الأخطل وضد الفرزدق وتميم، لأموال كانت تصب في حجره من قيس" (٢٣)، كما اتخذ شعره في مديح رجال السلطة وسيلة من وسائل التكسب والعيش، والوصول إلى الجاه والسلطان، وقطع لذلك كلّ سبيل، وأراق ماء وجهه، وتوسل الممدوحين واستجداهم، وقصصه في ذلك تملأ صفحات كتب الأدب العربي، ومنها إن جريرا قد " قصد عمر بن عبد العزيز، ولما دخل عليه، قال:

إنا لنرجو إذا ما الغيثُ أَخْلَفَنا   من الخليفةِ ما نرجوا من المطرِ
نال الخلافةَ إذ كانت له قَدَراً   كما أَتَى ربّه موسى على قَدَر
أأذكر الجَهْدَ والبَلْوَى التي نزلتْ   أم تَكْتفي بالذي بُلِّغْتَ من خَبَرِي

ما زِلْتُ بعدَك في دارٍ تَعَرَّقُنِي قد طال بعدك إصعادي ومُنحدَرِي
لا ينفَع الحاضرُ المجهودُ بادِيَنا ولا يجود لنا بادٍ على حَضَرِ
كم بالمواسِم من شَعْثاءَ أَرْمَلَةٍ ومن يَتيمٍ ضعيفِ الصوتِ والبصرِ
يدعوك دعوةَ ملهوفٍ كأنّ به خَبْلاً من الجِنّ أو مَسّاً من النُّشَرِ
ممّن يَعُدُّك نَكْفِي فَقْدَ والدِه كالفَرْخِ في العُشِّ لم يَنْهَضْ ولم يَطِرِ

فبكى عمر ثم قال يابن الخطفي أمن أبناء المهاجرين أنت فنعرف لك حقهم أم من أبناء الأنصار فيجب لك ما يجب لهم أم من فقراء المسلمين فنأمر صاحب صدقات قومك فيصلك بمثل ما يصل به قومك، فقال يا أمير المؤمنين ما أنا بواحد من هؤلاء وإني لمن أكثر قومي مالا وأحسنهم حالا، ولكني أسألك ما عودتنيه الخلفاء أربعة آلاف درهم وما يتبعها من كسوة وحملان، فقال له عمر كل امرىء يلقى فعله وأما أنا فما أرى لك في مال الله حقا" (٢٣) .

ومع أن الرواية تكشف عن حرص الخليفة عمر بن عبد العزيز على أن لا يعطي الشاعر من بيت مال المسلمين، لأنها أموال عامة، لا حق له في إنفاقها إلا في موضعها الصحيح، ولا حق للشاعر فيها إلا وفقا لضوابط شرعية، إلا أنها تكشف أيضا عن العطاء الوفير الذي كان يغدقه خلفاء بني أُمية على الشاعر، وكيف أنه قد عاش حياة رغيدة في أكنافهم، لأنه كان ينظم معاني شعره وفقا للمقاييس التي حددوها، وتبنى إذاعة إيديولوجيا الحكم الأموي إسلامياً، وشرعنته ذهنياً لقبوله في المجتمع، فقد كان الأمويون يستشعرون الخطر الحقيقي المحدق بهم من مناوئيهم الذين ينافسونهم على الخلافة وينظرون إليهم على أنهم مغتصبون لها، وكان جرير سريع الاستجابة لمثل هذه الرغبة طالما كان يحصل منها بالمقابل على الهبات التي تقاس أثمانها بمدى استيفاء القصيدة شروط

ارتباط شخصية الممدوح بكل ما هو ديني ومقدس، فكان عبد الملك ابن مروان محطته الأُولى(٢٤):

تعزتْ أمُّ حزرةَ ثمَّ قالتْ رَأيتُ الوَارِدِينَ ذَوي امْتِناحِ
تُعَلّلُ وَهْيَ ساغِبَةٌ بَنِيها بأنْفاسٍ مِنَ الشَّبِمِ القَرَاحِ
سَأمْتاحُ البُحُورَ فجَنّبِيني أذاةَ اللّوْمِ وانْتَظِرِي امْتِياحي
ثِقي بالله لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ ومنِ عندِ الخليفةِ بالنجاحِ
أعثني يا فداكَ أبي وأمي بسيبٍ منكَ إنكَ ذو ارتباح
فَإنّي قدْ رَأيتُ عَليّ حَقّاً زِيَارَتِيَ الخَليفَةَ وامْتِداحي
سأشكرُ أنْ رددتَ عليَّ ريشي وَأثْبَتَّ القَوادِمَ في جَنَاحي
ألَسْتُمْ خَيرَ مَن رَكِبَ المَطَايا وأندى العالمينَ بطونَ راحِ
وقَوْمٍ قَدْ سَموْتَ لهمْ فَدَانُوا بدهمٍ في ملةٍ رداحِ
أبحتَ حمى تهامةَ بعدَ نجدٍ وما شيءٌ حميتَ بمستباحِ
دَعَوْتَ المُلْحِدينَ أبَا خُبَيْبٍ جماحاً هلْ شفيتَ منَ الجماحِ
رأى الناسُ البصيرةَ فاستقاموا وبينت المراضِ منَ الصحاحِ

يبدأ جرير قصيدته بمحاورة شعرية مع زوجته أُم حرزة يبين فيها أن زوجته مع بنيها جائعة وتطلب المعونة منه، وهو يعدها أنه سيذهب إلى صاحب العطايا والهبات ليسد فاقتها وفقرها، وأنه أقسم بالله الذي لا شريك له، إن الخليفة صاحب الفضل عنده النجاح، ثم ينتقل إلى التصريح بطلب المساعدة والمعونة من عبد الملك؛ لأنه صاحب النافلة والعطاء، ويشكر الخليفة سلفا على إعانته على قسوة الحياة، ويشبه عطاياه بالريش الذي يغطي جسم الطائر ويحميه من عاديات الزمن، ويذكر أن زيارته وامتداحه حق وواجب لأنه أهل لهذه الطاعة،

وينتقل بعد ذلك إلى الدعوة إلى وجوب الطاعة للخليفة، فجرير يعلم جيدا أهمية مثل تلك الدعوة عند الأمويين الذين يدركون صعوبة تقبل المسلمين لفكرة مشروعية حكمهم، لأنهم يعلمون قبل غيرهم أن المسلمين لم ينسوا لهم بعد" أنهم كانوا أشد أعداء الإسلام، وأنهم لم يعتنقوا الإسلام إلاّ مكرهين بآخره، وأنهم أبناء الطلقاء الذين عرفوا كيف يجنون لأنفسهم ثمرة انتصاره وسيادته عن طريق استغلال ضعف الخليفة عثمان أولا، والمهارة في استغلال مقتله ثانيا " [٢٥].

وهكذا أدرك خلفاء بني أُمية إن إقناع الناس بأحقيتهم بالخلافة،لا تثبت إلا باعتراف شعري بأنهم مختارون ومفوضون من الله ويحكمون بأمره، وما إصرارهم على ترسيخ فكرة وجوب الطاعة إلاّ لمعرفتهم بأنهم مغتصبون للخلافة، ولم يكونوا يستندون إلاّ إلى قوتهم الخاصة التي لم يتمكنوا من تحويلها إلى حق شرعي[٢٦].

وفكرة الاختيار الإلهي تعني إن الخلافة حق مقدس من الله خص به خلفاء بني أُمية، فهي فكرة تعمل على تقديس السلطة، بوصفها تكليفا من الله تعالى، والادعاء بأن الله هو من يصطفي الخليفة، ويثبته بكتابه وقضائه، وجذور هذه الفكرة تمتد إلى يوم السقيفة حين احتج الخليفة الأول على الأنصار بقوله: "... فلاتنفسوا على إخوانكم ما منحهم الله من فضله" [٢٧] ، واستعان بها أيضا الخليفة عثمان في احتجاجه على الثوار، بقوله: " أما قولكم تخلع نفسك، فلا أنزع قميصا قمصنيه الله عزّ وجل وأكرمني به وخصني به على غيري..." [٢٨]، ومن هنا تبنى الأمويون(الذين يدعون ورث عثمان) فكرة الاختيار الإلهي في الحكم كونُهم خلفاء الله وظله في الأرض، وبهذا تكون ولايتهم عامة كولاية الله ونبيه وعلى الرعية أن تطيعهم طاعة عمياء، قال جرير يمدح عبد الملك[٢٩]:

أللهُ طوقكَ الخلافةَ والهدى والله لَيْسَ لِمَا قَضَى تَبْديلُ
إنّ الخِلافَةَ بِالذي أبْلَيْتُمُ فِيكُمْ فَلَيْسَ لمَلْكِها تَحْويلُ
يعاو النجَّ إذا النجى اضجهمْ أمرٌ تضيقُ بهِ الصدورُ جليل
وَليَ الخلافةَ وَالكرامةَ أهلها فَالمُلْكُ أفْيَحُ وَالعَطَاءُ جَزيلُ

وجرير هنا ينطق بلسان حكام بني أُمية الذين يربطون شرعية حكمهم ولزوم طاعتهم بشريعة الإسلام بحيث يكون الخروج عليهم خروجاً عن الدين، والتفكير بمخالفتهم من وساوس الشيطان، حتى لو ظهر من الحاكم هذا أو ذاك كل الفواحش والآثام، فالطاعة التي يدعو لها جرير قيمة مركزية ثابتة لا تتحرك ولا تتزحزح، مهما تزحزح عدل السلطة عن موضعه، وهي طاعةُ الضرورةِ والأمر الواقع، مقرونة بالسكوت والانصياع لجبروت السلطة وليست طاعةَ مقيدة بالسلطة العادلة لحكام وأُمراء طبقوا شرع الله وخدموا رعيتهم وحكموا بالعدل والإنصاف، وهذا من دون شكٍ خلل كبير في منظومة قيم الإسلام الأموية، إذ يقول في مدح يزيد بن عبد الملك(٣٠):

إنّي لزَائركُمْ وُدّاً وَتَكْرِمَةً حتى يقاربَ قيدَ المكبرِ الرسف
أرْجُو الفَوَاصِلَ إنّ الله فَضّلَكُمْ يا قَبّلَ نَفسِكَ لاقَى نَفسِي التَّلَفُ
ما من جفانا إذا حاجاتنا نزلتْ كمنْ لنا عندهُ التكريمُ واللطفُ
كمْ قدْ نزلتُ بكمْ ضيفاً فتلحفني فضلَ اللحافِ ونعمَ الفضلِ يلتحفُ

....

اللهُ أعطاكَ فاشكر فضلَ نعمتهِ أعطاكَ ملكَ التي ما فوقها شرفُ
هَذي البَرِيّةُ تَرْضَى ما رَضِيتَ لهَا إنْ سرْتَ سارُوا وَإن قلتَ ارْبعوا وَقفُوا
هُوَ الخَليفَةُ فارْضَوْا ما قَضَى لَكُمُ بالحَقّ يَصْدَعُ ما في قَوْلِهِ جَنَفُ

يقضي القضاءَ الذي يشفى النفاقُ به	فاستبشر الناسُ بالحقَّ الذي عرفوا
أنتَ المُبَارَكُ وَالمَيْمُونُ سيرَتُهُ	لولا تقومُ درءَ النـاسِ لاختلفوا
سرْبِلتَ سِرْبالَ مُلْكٍ غيرِ مُبتَدَعٍ	قَبلَ الثّلاثينَ إنّ الخَيرَ مُؤتَنَفُ
تدعو فينصرُ أهلُ الشامِ إنهمُ	قومٌ أطاعوا ولاةَ الحقَّ وائتلفوا
ما في قلوبهمُ نكثٌ ولا مرضٌ	إذا قذفتَ محلاً خالعاً قذفوا
قَدْ جَرّبَ النّاسُ قَبلَ اليَوْمِ أنّهمُ	لا يَفزَعُونَ إذا ما قُعقِعَ الحَجَفُ

ولم يغفل جرير الربط بين فكرة الاختيار الإلهي والتفويض الإلهي، فقد سعى من وراء ترويجه لفكرة أن الله سبحانه وتعالى، هو الذي جعل الأمويين خلفاء، وأن أمر توليتهم أو عزلهم إنما هي((أقدار إلهية)) بدون أي تدابير أو تدخلات من البشر، وهكذا كانت الطاعة لأُولي الأمر من المسلمات في هذا الخطاب(٣١)، فراح يدعو الناس إلى التسليم المطلق للحاكم الأموي لأنه يحكمهم بتفويض من الله تعالى، ونلاحظ أن جريرا كان غالبا ما يبدأ قصائده التي يعلن فيها ولاءه المطلق لبني أُمية، ويدعو الناس إلى وجوب الطاعة، بالاستجداء وطلب النوال والعطايا، ولا يتعلق هذا الأمر بالفقر والغنى، كما يحاول أن يصوره، فقد كان الشاعر من أكثر رجال قومه مالا، كما أكد هو ذلك في الرواية التي سبق ذكرها، لكنه مع هذا كان من أكثر الشعراء طلبا للمال، وامتثالا للسلطة السياسية الأموية؛ لميوله المحافظة على دوام مصالحه.

ومن العقائد التي ساعد الأمويون على زخرفتها بما يناسبهم ودعوا شعراءهم إلى بثّها بين المسلمين أيضا، عقيدة الجبر، التي كانت تعني (فيما يتعلق بسلوك الحكام)، إنهم مهما بالغوا في فسادهم وظلمهم، فإن ذلك كله في ضمن القضاء والقدر الإلهي الذي يجب على الناس قبوله والتسليم فيه بدون أدنى تساؤل، وقد

وجد جرير في الفكر الجبري دعما قويا لفكرة الأمويين في الاختيار والتفويض الإلهي، إذ إنهم غالبا ما يزعمون إن هذا الاختيار قد جاء نتيجة لقضاء إلهي وقدر حتمي قد قُرر سلفا، ولا سبيل لرده أو الاعتراض عليه، فراحوا يعلنون أن مشيئة الله تعالى هي التي جعلت من الأمويين خلفاء لهذه الأُمة، وقد ثبتهم سبحانه بكتابه وقضائه. وقد أسرف جرير في توكيد هذه الفكرة وتقريرها في نفوس الناس، إذ يقول في مدح عمر بن عبد العزيز(٣٢):

إنّا لَنَرْجُو إذا ما الغَيثُ أخْلَفَنَا — مِنَ الخَليفَةِ مَا نَرْجُو مِنَ المَطَرِ
يا رُبّ سَجْلٍ مُغيثٍ قد نَفَحْتَ بهِ — منْ نائلٍ غيرِ منزوحٍ ولا كدرِ
أأذكرُ الجهدَ والبلوى التي نزلتْ — أمْ كفاني الذي بلغتَ منْ خبري
....
خَلِيفَةَ الله مَاذا تَنْظُرُونَ بِنَا — لَسْنَا إلَيكُمْ وَلا في دارِ مُنتظَرِ
أنتَ المُبارَكُ وَالمَهديّ سِيرَتُهُ — تَعْصِي الهَوَى وَتَقُومُ اللّيلَ بالسُّوَرِ
أصبحتَ للمنبرِ المعمورِ مجلسهُ — زيناً وزينَ قبابِ الملكِ والحجرِ
نالَ الخلافةَ إذْ كانتْ لهُ قدراً — كَمَا أتَى رَبَّهُ مُوسَى عَلى قَدَرِ
فَلَنْ تَزَالَ لهَذا الدّينِ ما عَمِرُوا — منكمْ عمارةُ ملكٍ واضحِ الغررِ
همْ ما همُ القومُ ما ساروا وما نزلوا — إلاّ يسوسونَ ملكاً عالي الخطر

ويبدو أن جريرا كان يسعى من وراء التعالي بفكرة الخلافة إلى الله تعالى، إلى قطع الطريق على كل من تحدثه نفسه بالخلافة، إذ قرن الشاعر الطاعة للخليفة بالطاعة للرسول(ﷺ)، وساوى بين شخص الخليفة وشخص الرسول،

ومثلما دانت العرب والعجم لرسول الله، فإنها تدين لخليفة الله بالطاعة مثله، وهو مدح إسلامي تجاوز فيه الشاعر مهمة الحصول على جائزة الخليفة، لتكون القصيدة وسيطاً ناجعاً لما يريده الخليفة الأموي من الرعية من إقرار ذهني بأبدية بقاء الخلافة وأحقيتهم بها.

وهكذا راح جرير يكرر المعاني السابقة ويبالغ فيها عند مدحه لسليمان بن عبد الملك وأخية هشام وغيرهما من خلفاء بني أُمية وأُمرائهم، وكان يقصد من هذه الإفاضة في القدسية والكرامة نيل رضا ممدوحيه ليكسب الجائزة التي يرجوها منهم.

في الختام لابد من الإشارة الى أن الدافعين السابقين غالبا ما يجتمعان معا في نفس الشاعر عند نظمه للقصيدة، كما يمكن أن يضاف إليهما أيضا الدافع الوجداني والعاطفي، فلا يمكن لنا أن ننكر تعلق الشاعر بدولة بني أُمية (لاسيما بعد زوال ملك بن الزبير وانسحاق حزبهم)، ورغبته في استمرارها لاسيما عندما تتعرض هذه الدولة للمخاطر، فالشعور بالأمن والاطمئنان على المكاسب الشخصية يعد أيضا باعثا مهما لطاعة السلطة السياسية، يستحق من الشاعر تحمل مظالم السلطة، والتنازل عن بعض حقوقه.

نتائج البحث وخاتمته:

– كان لارتباط الشعر بالمؤسّسة الدينيّة الأموية نتائجه الواضحة في شيوع نمط من الشعر حددت معالمه السلطة الأموية، إذ اتخذت السلطة من الشعر وسيلة ذكية وممنهجة لإضفاء الشرعية الدينية على تعلقهم بالسلطة من دون سند ديني أو شرعي.

– أثّرت عقدة الخوف من السلطان التي حكمت حياة جرير في شعره تأثيرا بينا، فشخصية جرير حين يمدح ويسرف في المديح، ولا يتحرج من التملق هي شخصية ضعيفة ومتقلبة ومتلونة.

– كانت دعوة جرير للطاعة السياسية تلزمه أن يصنع شخصية ذهنية لممدوحه، ليس من معطيات حقيقية، بل من واقع سلبي مطلوب القفز عليه والتغاضي عنه.

– أدى جرير دور الفاعل الخطابي بامتياز في دعوته للطاعة السياسية للسلطة، إذ يعد تبني أي شخصية معروفة لأفكار سياسية معينة عاملا مساعدا مهما لانتشارها بين أوسع القطاعات.

- كان لعاملي الخوف والطمع المادي أثرهما الكبير في اجتهاد جرير لإيجاد المسوغات المقنعة لتأكيد دعوته للطاعة السياسية، فأسرف في فكرة الاختيار والتفويض الإلهي وإعادتها بأشكال شتى، ومسوغات مختلفة لتقريرها في نفوس الناس.

- إن دعوة جرير الشعرية للطاعة السياسية - وإن فقدت قدرا كبيرا من استقلاليتها وأخضعت بدرجة كبيرة لإحدى القوتين(السلطة والثروة) أو كليهما- تمكنت من استيعاب منظومة الأفكار والتصورات السياسية للسلطة الأموية.

الهوامش

(١) ينظر، الطاعة السياسية في الفكر الإسلامي، هاني عبادي المغلس: ١٩٩- ٢٠٠.

(٢) الإنسان والسلطة (إشكالية العلاقة وأُصولها الإشكالية)، حسين الصديق: ٢٩ .

(٣) السابق: ٣ .

(٤) مواقف في الأدب الأموي، د. عمر فاروق الطباع : ٢٢٦ .

(٥) من تاريخ الأدب العربي، د. طه حسين: ٦٥١-٦٥٢ .

(٦) مجمع الأمثال، الميداني: ١/١٤١- ١٤٣.

(٧) ديوان جرير، تحقيق، نعمان أمين طه: ١/ ١٠٩. ينظر أيضا، ديوان جرير: ٢ ٣٣٠ ، ٥١٩، ٣/ ٥٤٨، ٧٦٢، ٨٨٩، ٩٤١، ١٠١٠ .

(٨) نفسه: ٣/ ٩١٢- ٩١٤ .

(٩) نفسه: ١/ ٩٠ .

(١٠) تاريخ الأُمم والملوك، الطبري: ٤/ ٣٤ .(لم ترد الأبيات في ديوان الشاعر، بشرح محمد بن حبيب).

(١١) ينظر، الخطاب السياسي في الشعر الأموي، بهجت مهجر الطعمة (رسالة دكتوراه): ٨٨ .

(١٢) ينظر، من تاريخ الأدب العربي: ٦٥٦ .

(١٣) ديوان جرير: ٣/ ٧١٧ .

(١٤) السابق: ٢/ ٣٤٨ .

(١٥) نفسه: ٢/ ٤٠٢ – ٤٠٣ .

(١٦)عيون الأخبار، ابن قتيبة :٢/ ٢٦٧ .

(١٧) الكامل في اللغة والأدب، المبرد: ١/ ٣٨١ .

(١٨) شعر البصرة في العصر الأموي، د. عون الشريف قاسم: ١٨٥ .

(١٩) ديوان جرير: ٢/ ٣٧٣ .

(٢٠) السابق: ٢/ ٤٠٧- ٤٠٨ .

(٢١) نفسه: ٢/ ٢٤٤- ٢٤٥ .

(٢٢) التطور والتجديد، شوقي ضيف: ١٢٣ .

(٢٣) الأغاني، الأصفهاني: ٨/ ٥١- ٥٢ .

(٢٤) ديوان جرير: ١/ ٨٨ – ٩٠ .

(٢٥) الفرق الإسلامية في الشعر الأموي، النعمان القاضي: ٧٨.

(٢٦) ينظر، تاريخ الدولة الأموية، فلهاوزن: ٦٠ .

(٢٧) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، أحمد زكي صفوت: ١/١٧٦.

(٢٨) السابق: ١/٢٧٥.

(٢٩) ديوان جرير: ١/ ٩٤ – ٩٥.

(٣٠) السابق: ١٧٣ – ١٧٦.

(٣١) ينظر، الخطاب السياسي الصوفي في مصر، محمد صبري الدالي: ٢٦٥.

(٣٢) ديوان جرير:٢/ ٤١٤ – ٤١٦ .

المصادر

١. الأغاني، أبي الفرج الأصفهاني، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر – بيروت، ط ٢، (د.ت).

٢. الإنسان والسلطة (إشكالية العلاقة وأُصولها الإشكالية)، حسين الصديق، منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق، ٢٠٠١م .

٣. تاريخ الأُمم والملوك، محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٠٧ هـ .

٤. تاريخ الدولة الأموية، فلهاوزن، لجنة التأليف والنشر، ١٩٥٨ .

٥. التطور والتجديد في الشعر الأموي، د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ط٥، ١٩٧٣م .

٦. جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، أحمد زكي صفوت، المكتبة العلمية، بيروت، (د.ت) .

٧. الخطاب السياسي الصوفي في مصر، قراءة في خطاب عبد الوهاب الشعراني للسلطة والمجتمع، د.محمد صبري الدالي، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٤م.

٨. الخطاب السياسي في الشعر الأموي، بهجت مهجر حبش الطعمة، رسالة دكتوراه، كلية الآداب–جامعة البصرة، ١٤٣٢هـ–٢٠١٠م .

– ديوان جرير، بشرح محمد بن حبيب، تحقيق: د. نعمان محمد أمين طه، دار المعارف، ط٣، ١٩٨٦م .

٩. شعر البصرة في العصر الأموي دراسة في السياسة والاجتماع، د.عون الشريف قاسم، دار الجيل- بيروت، ط٢، ١٩٩١م.

١٠. الطاعة السياسية في الفكر الإسلامي النص والاجتهاد والممارسة، هاني عبادي محمد المغلس، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا- الولايات المتحدة الأمريكية، ١٤٣٥هـ- ٢٠١٤هـ .

١١. الطبقات الكبرى، ابن سعد ، دار إحياء التراث- بيروت، ١٩٩٦.

١٢عيون الأخبار، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: د. يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ١٩٨٥م .

١٣. الفرق الإسلامية في الشعر الأموي، د.النعمان القاضي، دار المعارف بمصر، د.ت.

١٤.- الكامل في اللغة والأدب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة- القاهرة، (د.ت).

١٥مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة – بيروت .

١٦. من تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي والعصر الإسلامي، طه حسين، دار العلم للملايين- بيروت، ١٩٧٠م .

١٧. مواقف في الأدب الأموي، د.عمر فاروق الطباع، دار القلم- بيروت، ١٩٩١م .